دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | منظور الثقافة السياسية والنظم السياسية العربية |
| المصدر: | المستقبل العربى |
| الناشر: | مركز دراسات الوحدة العربية |
| المؤلف الرئيسي: | المنوفي، كمال |
| المجلد/العدد: | مج 5, ع 47 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1983 |
| الشهر: | يناير - كانون الثاني |
| الصفحات: | 42 - 52 |
| رقم MD: | 55492 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | EcoLink |
| مواضيع: | التنشئة السياسية، الثقافة، السياسة، النظم السياسية، العالم العربي، نظم الحكم، الديمقراطية، الاستقرار السياسي، التراث الاسلامي، الثقافة العربية، القيم الاجتماعية، المجتمع المصري، الهجرة الخارجية، التنشئة الاجتماعية، المجتمع العربي، الأحوال الاجتماعية، المشاركة السياسية، الثقافة السياسية |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/55492 |

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# منظـور الثقافـة السياسيـــة والنظـم السياسيـة العربيـة

**د . كمـــال المنوفـــي**

**كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة .**

## مقدمـــة

في سعيهم نحو فهم أشمل وأعمق لنظم الحكم في مختلف بلدان العالم ، طرح علماء السياسة في الغرب عدداً من المداخل من بينها مدخل او اقتراب الثقافة السياسية political culture approach الذي يحاول ، بشكل منظم ، استخدام مقولات ورؤى علم النفس الاجتماعي في الدراسة السياسية المقارنة . ففي الخمسينات من هذا القرن ، اعترف دارسو السياسة بقصور الأطـر البنيويـة في تحليل النظم السياسية ، وألحوا على ضرورة أخذ البيئة الثقافية للأبنية السياسية في الاعتبار . فمثلاً يذكر **جابرئيل الموند** ان كل نظام سياسي يعيش في اطار ثقافة سياسية معينـة ، أي نسق من القيم والاتجاهـات والمعتقدات السياسية ، وعلى أساس معرفة هذا المركب الثقافي ، يمكن تفسـير كيف تتشكل وتعمـل المؤسسات السياسية[1] . ويؤكد دعاة منهج الثقافة السياسية ان الاتجاهات والقيم السائدة في اي مجتمع ليست فطرية وانما مكتسبة من خلال عملية التنشئة السياسية التي تضطلع بها مؤسساته الاولية ( الاسرة والمدرسة ) والثانوية ( الحزب ، ادوات الاعلام ) . لهذا فإن دراسة نمط التنشئة يمكن أن تقدم مفاتيح مهمة لكيفية تكوين الاتجاهات وحدوث السلوك السياسي .

ولم يقف علماء السياسة عند مجرد الطرح النظري للعلاقة بين الثقافة والسياسة ، بل ان منهم من تجاوز ذلك الى بحث تلك العلاقة تجريبياً . ومن المحاولات الرائدة بهذا الصدد تلك الدراسة التي اجراها **جابرئيل الموند وسيدني فربا** في اوائل الستينات حول **الثقافة المدنية في خمس امم** والتي خلصا فيها الى ان الاستقرار الديمقراطي في الدول قيد البحث ـ الولايات المتحدة ، بريطانيا ، المانيا

(١) Gabriel Almond, «Comparative Political Systems,» *Journal of Politics*, no. 18 (1956), p. 395.

ولمزيد من التفصيل حول الثقافة السياسية كمفهوم تحليلي ، انظر :

Lucien Pye, «Political Culture,» in: *International Encyclopedia of the Social Sciences* (1968), vol. 12; Lucien Pye and Sidney Verba, eds., *Political Culture and Political Development* (Princeton, N.J.: Princeton University Press 1965), and Dennis Kavanagh, *Political Culture* (London: Macmillan, 1972).

الغربية ، ايطاليا ، المكسيك ـ يرتبط عضوياً بوجود ثقافة سياسية ديمقراطية هناك[٢] .

تهدف هذه الدراسة الى بحث امكانية التوسل بمنهج الثقافة السياسية في تحليل ودراسة الانظمة السياسية في البلدان العربية وذلك خلال محاولة الاجابة عن ثلاثة تساؤلات : ما هو اثر الخبرة التاريخية على الثقافة السياسية في الوطن العربي؟ ما هو موقف العلم الاجتماعي من موضوع الثقافة السياسية في البلدان العربية؟ واخيراً ما هي اهم مكونات او عناصر الثقافة السياسية في الوطن العربي وكيف السبيل الى دراستها ؟

## أولاً : الثقافة السياسية في الوطن العربي : الخبرة التاريخية

يذهب نفر من المهتمين بدراسات الوطن العربي الى أنه يعكس قسطاً كبيراً من التجانس الثقافي ، ويعد بالتالي منطقة ثقافة سياسية . ومعنى هذا امكانية الحديث عن اتجاهات وقيم سياسية عامة تتجاوز الحدود الاقليمية بين الاقطار العربية . ولعل ما حدا هؤلاء الى طرح تلك المقولة ما هو ثابت من تعرض العرب لثلاثة مواريث تاريخية : الميراث الاسلامي ، والميراث العثماني ثم الميراث الغربي .

فيما يتعلق بالميراث الاسلامي ، يلاحظ انه بقدر الاهتمام بدراسة نظام الخلافة والقانون الاسلامي والبناء السياسي الاسلامي والطبقات او الجماعات الحاكمة في الدولة الاسلامية بقدر اغفال المدلولات السياسية للتراث الاسلامي الا فيما ندر . فالقضايا المتعلقة بدور الاسلام في تشكيل قيم الثقافة السياسية ومدى تأثير الاسلام على مختلف مستويات النشاط السياسي لم تنل بعد ما تستحقه من اهتمام أكاديمي . على أن من أهم الاضافات بهذا الصدد مقالة **ارثر جيفري** الموسومة « الاهمية السياسية للاسلام » والمنشورة بمجلة **دراسات الشرق الادنى** ( تشرين الاول / اكتوبر ١٩٤٢ ) . ويكمن مغزى هذا المقال في محاولة البحث عن علاقات مباشرة بين المثل الاسلامية والاتجاهات السياسية للمسلمين . فبعدما تعقب جيفري جذور مفهوم المجتمع السياسي الاسلامي ، راح يحلل دلالات هذا المفهوم بالنسبة للاتجاهات حيال غير المسلمين ، وكذا فكرة الجهاد . ثم ربط مفاهيم الجهاد ودار الاسلام ودار الحرب بادراك وتصور المسلمين للتضامن الاسلامي والوحدة الاسلامية[٣] .

كما أورد **غب** و **غرنبوم** وغيرهما، في بعض مصنفاتهم ، اشارات متفرقة تنعت المسلمين بالقدرية وفقدان القدرة على التحليل ( الربط بين الاسباب والنتائج ) والابداع والميل الى تغليب النقل على العقل والنظر على العمل[٤] . الا ان المضامين السياسية لهذه المصنفات لم تناقش الا على مستوى مقولة « الانحطاط ـ الشك ـ الطغيان». اضف الى هذا ان تلك المحاولات لم تبين مدى تماثل او اختلاف السمات المذكورة بين المسلمين من مكان الى آخر ومن زمن الى آخر ، بل ومن طبقة او شريحة اجتماعية الى اخرى .

---

(٢) Gabriel Almond and Sidney Verba, eds., *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations* (Boston, Mass.: Little, Brown, 1965).

(٣) Arthur Jeffrey, «The Political Importance of Islam,» *Journal of Near Eastern Studies*. no.1(October 1942).

(٤) H [amilton] A [lexander] R [osskeen] Gibb, *Modern Trends in Islam* (Chicago, Ill.: University of Chicago, 1946); G [ustave] E [dmund] Von Grunebaum, *Modern Islam: The Search for Cultural Identity* (New York: 1964); Max Weber, *The Sociology of Religion,* trans. by Ephraim Fischoff (Boston: 1963), p. 265, and David Maclelland, *The Achieving Society* (Princeton: 1961), p. 340.

وفي بحث نشر مؤخراً حول الاسلام والقيم السياسية في السعودية ومصر وسورية ، تناول د. **ستيفن همفرس** بأسلوب مقارن ، المعاني السياسية لثلاثة تيارات في الفكر الاسلامي المعاصر : التيار السلفي الذي ينادي بالعودة الى الاصول والتمسك التام بالمثل والممارسات الاسلامية كما بينها القرآن والسنة ، والتيار التحديثي او التجديدي الذي يستهدف تحقيق الانسجام بين الاسلام والعصر الحديث عن طريق اعادة تفسير الدين والربط بين بعض الافكار الاسلامية والافكار الحديثة ، واخيراً الاتجاه العلماني العقلاني الذي يرى الفصل بين الدين والسياسة ، وعدم الابقاء على التقاليد الا بمقدار فائدتها الاجتماعية(٥) .

بيد ان عالم الاجتماع المصري **سعد الدين ابراهيم** قد مس المضمون الثقافي للاسلام بشكل مباشر وهو بصدد الحديث عن تأثير الاسلام على منظومة القيم في المجتمع المصري. اذ نراه يميز بين ثلاثة انظمة من القيم : القيم التي وردت صراحة او ضمناً في القرآن والسنة كالرحمة والعدالة والتعاطف والمساواة والعلم والعمل ، ثم القيم التي ارتبطت بالاسلام وعلقت بتراثه من عصور الانحطاط كالتعصب الديني وتبرير الفروق الاجتماعية وكبت المرأة والتواكل ، واخيراً مجموعة القيم القبلية التي منها ما هو ايجابي كالشجاعة والكرم ومنها ما هو سلبي كالتحزب القبلي والفردية وعدم الانصياع للقانون المدني(٦) .

اما بالنسبة للميراث العثماني ، فالملاحظ بوجه عام ان الدراسات التي عرضت للواقع السياسي للمنطقة العربية ابان السيطرة العثمانية قد ركزت على وصف بنية السلطة السياسية من زاوية الطغيان والمركزية والتمييز العرقي والصراع بين الباب العالي والوالي العثماني والاعيان المحليين والقوى القبلية دون الحديث عن الاتجاهات السياسية التي سادت لدى سكان الايالات العثمانية(٧) .

وبخصوص الميراث الغربي ، يمكن القول ان الحضارة الغربية تضمنت عدداً من القيم التي أثرت على الانسانية بوجه عام من قبيل : الحرية الفردية ، والنظرة العلمية لأمور الحياة ، والمساواة السياسية . على ان منظومة القيم هذه لا تزال اسيرة الفئات المثقفة ولم يقدر لها بعد ان تتسرب الى عقلية الجماهير العربية في القرية والمدينة والبادية . يقابل هذه القيم الايجابية قيم اخرى سلبية غذاها وكرسها الاستعمار الغربي من قبيل : الشعور بالنقص ازاء الاجنبي ( عقدة الخواجة ) واحتقار العمل اليدوي ، والنظر الى المرأة على انها ادنى من الرجل .

## ثانياً : الثقافة السياسية في البلدان العربية : عرض نقدي للتراث

يتضمن تراث العلم الاجتماعي اضافات بأقلام كتاب عرب واجانب تناول بعضها الثقافات السائدة في بعض البلدان العربية او لدى قطاعات معينة فيها ، بينما تناول البعض الآخر الثقافة

---

(٥) R. Stephen Humphreys, «Islam and Political Values in Saudi Arabia, Egypt and Syria,» *The Middle East Journal*, vol. 33, no. 1 (Winter 1979).

(٦) سعد الدين ابراهيم ، « مدخل الى فهم مصر ،» ( غير منشورة ) ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٧) Gabriel Ben-Dor, «Political Culture Approach to Middle East Politics,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 8 (1977), p. 51.

العربية بوجه عام . وهكذا يمكن تصنيف تلك الدراسات في مجموعيتن : دراسات على مستوى « الجزئي » ، واخرى على مستوى « الكلي » .

## ١ ـ الدراسات المكيروكزمية ( الجزئية )

لعل المجتمع المصري قد حظي في هذا الخصوص باهتمام اكبر اذا قيس بغيره من المجتمعات العربية . اذ توجد دراسات عديدة عالجت « الشخصية المصرية » و « الطابع القومي المصري » و«اخلاق وطبائع المصريين » و « ثقافة الفلاحين المصريين » . ويبين الجدول المرفق اهم هذه الدراسات وما ابرزته من خصائص ثقافية سواء للشعب المصري في مجموعه او لقطاع معين منه . ويظهر من هذا الجدول اتفاق جل الدراسات على عدد من السمات الثقافية تميز اغلب المصريين وهي : احترام السن ، التدين ، عبادة السلطة والشك فيها ، التعلق بالوطن الصغير ، غياب او ضعف التوجه العقلاني في التفكير والسلوك ، التسليم بالتدرج في العلاقات الاجتماعية ، الفكاهة ، والتعلق بالميري . كما يوضح الجدول ان هناك سمات ثقافية كانت موجودة في فترة زمنية ما ثم انحسرت بعد ذلك . فمثلاً وردت صفة « كراهية الارتحال » في دراسة **لاني** التي تنتمي زمنياً الى القرن التاسع عشر ، بينما لم تذكرها بقية الدراسات التي تعود جميعها الى الاربعين عاماً الاخيرة . ولا شك ان ما نعرفه عن ظاهرة النزوح الريفي ـ الحضري والهجرة خارج حدود مصر للعمل او الدراسة يقف شاهداً على تلاشي او ضعف الصفة الثقافية المذكورة . كذلك يلاحظ ان اختلاف المجال البشري والمكاني قد يرتبط بقدر من التباين الثقافي ( الفلاحون في الدلتا والصعيد ) .

وفي صدد تحديد العوامل المسؤولة عن ذلك المركب الثقافي ، يبرز **حامد عمار** دور التنشئة داخل العائلة على نحو ما يتجلى في كتابه الذائع الصيت **النمو في قرية مصرية : سلوا ، محافظة اسوان** . اذ نراه يعلق اهمية محورية على دور العقاب البدني واللفظي في تربية الطفل والتمييز في المعاملة بين الذكر والانثى والحض المستمر على الطاعة في خلق شخصية تعبد السلطة وتلقي المسؤولية على الآخرين وتشك وتحذر من الآخرين ، وترى هيراركية العلاقات الانسانية امراً طبيعياً ومشروعاً[٨] . وسيراً في الطريق ذاته ، يتحدث **ليونارد بايندر** عن الاهمية الفائقة للاسرة بوصفها الاداة الاولية للتنشئة السياسية في المجتمع المصري. اذ يزعم ان مفتاح فهم الاتجاهات السياسية السائدة لدى المصريين يكمن في تباين ادوار الاب والأم داخل الأسرة . فالأول هو رب الاسرة ، سلطته غير محدودة ، يتمتع باحترام الجميع ، له ان يثيب ويعاقب ، اوامره يجب ان تطاع دون مناقشة من قبل الزوجة والابناء سواء اتفقت مع رغباتهم او لم تتفق . والمفترض فيه ان يكون ذا شخصية قوية ونجاحه يقاس في المقام الاول بقدرته على ان يحفظ للأسرة كيانها وهيبتها . وبالمقابل ينظر الى الام ، خصوصاً في الاوساط التقليدية ، على انها ضعيفة الشخصية ، ينقصها الرشد والحكمة والنزاهة الى حد كبير . وعلى اساس هذا النمط التربوي ، يرتب بايندر عدة نتائج لها دلالتها بالنسبة للثقافة السياسية المصرية منها : اعتقاد المصري بأن المجتمع الفاضل هو الذي يعكس الفضائل التي لقنتها الاسرة له اتجاه صاحب

---

(٨) Hamid Ammar, *Growing Up in an Egyptian Village, Silwa, Province of Aswan* (London: Routledge and Kegan Paul, 1954), pp. 125-127 and 136-139.

السلطة ، على اي مستوى من المستويات ، الى تقمص دور وشخصية الأب ، القبول بالعلاقات غير المتكافئة ، التمسك بالشكليات واعتبارها اهم من الانجاز ، النظر الى السلطة على انها ترتبط بالشخصية اكثر منها بالدور او الوظيفة ، التأكيد على مفهوم العيب[٩] .

**الدراسات الخاصة بالسمات الثقافية للمصريين**

| مؤلف الدراسة | النطاق البشري للدراسة | السمات الثقافية |
|---|---|---|
| ١ ـ ادوارد لاين | الطبقات العليا والوسطى في المدن | احترام الصغير للكبير ، التدين والقدرية ، كراهية الجندية ، الأخذ بالثار ، العناد ، الخضوع للحاكم ، حب النكتة ، احترام الموت ، سمو الذكر على الانثى ، التعلق بالوطن الام ، وكراهية الارتحال . |
| ٢ ـ حسين فوزي | المصريون عموماً | الصبر ، كراهية التجنيد ، التعلق بالوطن الصغير ، تاليه الحكام ، التدين ، خشية الحكومة |
| ٣ ـ جمال حمدان | المصريون عموماً | الخضوع ، انعدام روح المبادرة ، التزلف والرياء لدى السكان ، النكتة ، التدين ، تقديس « الميري » |
| ٤ ـ حامد عمار | المصريون عموماً | المصري شخص « فهلوي » يميزه : التكيف السريع لمختلف المواقف ، التنكيت ، المبالغة في تأكيد الذات ، نظرة رومانتيكية الى المساواة، ايثار العمل الفردي على العمل الجماعي ، والرغبة في بلوغ الهدف بأقصر الطرق |
| ٥ ـ هنري عيروط | الفلاحون | المسالمة بمعنى عشق السلام وكراهية الثورة والدماء ، الولاء الشديد للقرية ، تاليه الحكام ، الخوف والشك في رجال السلطة ، الميل الى الالفة والاجتماع ، التدين ، القدرية ، التعلق بالحاضر ، غياب القدرة الابتكارية ، المراوغة ، الصبر |
| ٦ ـ ريتشارد كريتشفيلد | الفلاحون في الدلتا<br>الفلاحون في الصعيد | القبول بالسلطة الحكومية وطلب مساعدتها من آن لآخر ، التحفظ والسرية ، التوجه نحو المستقبل ، العقلانية ، الشعور بالانتماء الوطني<br>تجنب الحكومة والشك فيها ، الانفتاح والجماعية ، التعلق بالحاضر ، القدرية ، الانتماء للقرية والمحافظة |
| ٧ ـ كمال المنوفي | الفلاحون | عبادة وتشخيص السلطة ، غياب روح المبادرة ، الشك في الحكومة ، القبول بالهرمية في العلاقات الاجتماعية والسياسية ، التدين ، القدرية ، غلبة الولاء المحلي على الولاء الوطني |

**المصادر** : استناداً الى : حسين فوزي ، **سندباد مصري** ( القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩)؛ جمال حمدان ، **شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان** ، كتاب الهلال ، ١٩٦ ( القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٧ ) ؛ حامد عمار ، **في بناء البشر** ( القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٦٨) ؛ هنري عيروط ، **الفلاحون** ، ترجمة محيى الدين اللبان ووليم ادوارد مرقص ( القاهرة : مؤسسة الحلبي ، ١٩٦٨ ) ، كمال المنوفي ، **الثقافة السياسية للفلاحين المصريين : تحليل نظري ودراسة ميدانية في قرية مصرية** ( بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٨٠ ) ؛
Edward Lane, *Manners and Customs of the Modern Egyptians* (London: Every man's Library, 1963), and Richard Critchfield, «Egypt: Fellahin,» *American Universities Field Staff Reports* (July 1976), parts 1 and 2.

(٩) Leonard Binder, «Egypt: The Integrative Revolution,» in: Pye and Verba, eds., *Political Culture and Political Development,* pp. 409-410.

وهناك من يعتقد بأن الثقافة المصرية قد خرجت من رحم النسق الايكولوجي المصري . فمصر مجتمع هيدروليكي تعتمد فيه الزراعة على الري الاصطناعي . لقد اقتضت البيئة الفيضية منذ عهود واغلة في القدم اقامة شبكة ضخمة من مشروعات الري والصرف لضبط واستغلال مياه النيل . وحتم ذلك وجود سلطة مركزية قوية كي تباشر هذه المشروعات العامة تصميماً وتنفيذاً وصيانة . وتؤكد الشواهد التاريخية اقتران هذه المركزية السياسية في اغلب الاحيان بقدر هائل من القهر والاستغلال . وارتبط كل ذلك بسيادة قيم معينة : الخضوع والتبعية ، ممالأة السلطان ، فقدان الثقة في الحكومة ، غياب روح المبادرة ، والقدرية، السلبية ، الصبر(١٠) .

وفي كتابه **الشخصية التونسية** يزعم **البشير بن سلامة** ، مستخدماً المنهجية التاريخية ، ان هناك امة تونسية حافظت على كيانها رغم تقبلها الاسلام واللغة العربية . فالتونسي ، رغم شعوره بوجود قاسم حضاري مشترك بينه وبين المصري والسوري والجزائري يتمثل في اللغة والدين ، يشعر ايضاً بانتمائه الى شعب معين هو الشعب التونسي . ويحدد ابن سلامة الخصائص الثقافية للتونسيين في التصميم على حكم انفسهم بانفسهم ، الشغف بالتعلم والتعليم ، ضعف القدرة على اصدار احكام حرة شخصية ، الريادة حيث يبدأ التونسي من الصفر ويخلق من عدم ، غياب الشعور بالاطمئنان الى الماضي ، واخيراً المؤالفة والتعاون مع غيره على اساس المساواة ، ثم العدوان والمناوأة والتمرد على من يحاول اذلالهم او استعبادهم(١١) .

**ويربط وليام كوانت** بين تباين انماط التنشئة السياسية والمظاهر الصراعية والانقسامية في اوساط الصفوة الحاكمة الجزائرية . اذ يرصد مجموعتين متعارضتين من التوجهات السياسية لافراد هذه الصفوة : الشك المتبادل مع الاعتقاد بالندّية والمساواة ، ثم الايمان بدور الدولة مع الايمان بدور الجماهير(١٢) .

ويرى **جون ووتربري** ان المغربي يتميز بالقابلية للتوتر والاسترخاء . فالجماعات السياسية المغربية تبلغ الذروة في الصراع ضد بعضها البعض او ضد القصر . ولكنها سرعان ما تعود الى حالة من الهدوء والاسترخاء . ويترافق استعدادها للحركة مع فقدانها زمام المبادأة . كما ينقص المغربي الشعور بالثقة في الغير . وبالتالي يرى الخداع والتآمر والالتواء قواعد طبيعية للعبة السياسية(١٣) .

---

(١٠) Karl Wittfogal, *Oriental Despotism: A Comparative Study of Total Power* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1957), and

جمال حمدان ، **شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان** ، كتاب الهلال ، ١٩٦ ( القاهرة : دار الهلال ١٩٦٧ ) .

(١١) البشير بن سلامة ، **الشخصية التونسية : خصائصها ومقوماتها** ( تونس : مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله ، ١٩٧٤ ) .

(١٢) William Baur Quandt, *Revolution and Leadership: Algeria 1954-1958* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1969), p. 280.

(١٣) John Waterbury, *The Commander of the Faithful-The Moroccan Political Elite: A Study in Segmented Politics*, Modern Middle East series, 2 (New York: Columbia University Press, 1970) pp. 66, 77 and 321.

## ٢ ـ الدراسات الماكروكزمية ( الكلية )

استهدفت اغلب تلك الدراسات فهم السيكولوجية العربية او السلوك الجمعي للعرب باستخدام التحليلات الاسقاطية للشخصية العربية على اساس أساليب تنشئة الاطفال السائدة لديهم . ففي مؤلفه **العالم العربي اليوم** الذي يتناول مصر وسورية ولبنان والعراق والاردن ، اورد **مورو برجر** قائمة بالسمات الشخصية السائدة لدى سكان هذه البلدان معتمداً في هذا الصدد على نتائج البحوث في مجال علم النفس الاجتماعي خصوصاً دراسة **سنية حمادي** الموسومة **مزاج وشخصية العربي**.حقاً انه لم يربط صراحة النسق الثقافي بالسياسة ، الا انه ذكر مجموعة قيم واتجاهات تنطوي على معان سياسية مهمة : تمجيد الذات ، احتقار الذات ، الشك ، الفردية ، الولاء للعائلة او القبيلة او الطائفة الدينية ، العداوة المفرطة ، الأدب المفرط ، التنافس الشديد ، الشكلية ، التسليم بالقدر في الحياة عموماً وفي السياسة خصوصاً ، التسلطية ، العزوف عن البحث عن المجهول ، ثم الرضا بالهوة الواسعة بين النظرية والتطبيق(١٤) .

وعلى أساس القسوة في تربية الطفل والتمييز بين الولد والبنت في اساليب التنشئة حيث تطول فترة الرضاعة الى ثلاث سنوات بالنسبة للذكر بخلاف الانثى ، يرصد **رافائيل باتاي** عدداً من السمات الثقافية للعرب منها : تغليب النظر على العمل اذ يستطيع العربي ان يقرر امراً باللفظ ويفشل في أن يأتي من الفعل ما يحققه ، والنظر الى المرأة على أنها موضوع جنس وأنها لا تستطيع مقاومة الاغراء الجنسي ، الخضوع والتبعية ، احترام الكبار والترفع على الصغار ، وتخلف القدرة على الانجاز الاقتصادي(١٥) .

ويتحدث **جون لافين** عن ذات السمات تقريباً في كتابه **العقل العربي تحت الفحص** . من واقع زيارات لمعظم البلدان العربية وصداقات مع عدد كبير من العرب وكتابات الباحثين العرب المهاجرين الى امريكا ومع العلماء الاسرائيليين المتخصصين بالشؤون العربية في جامعات القدس وحيفا وتل ابيب . اذ نجده على طول الكتاب يصف العرب بالعنف والعدوانية والكذب والتسويف والافتقار الى المثابرة والشعور بالمسؤولية والتعاون المنظم والانضباط وحرية الفكر والتصرف(١٦) .

إن هذه النظرة للعقل الجمعي للعرب نجدها ايضاً لدى كثير من العلماء الاجتماعيين العرب . ففي مؤلفه **التحليل النفسي للذات العربية** يصف **علي زيعور** الشخصية العربية بالفردية ، الاتكالية والقدرية ، النظرة الى القائد السياسي على أنه إمام او خليفة او سلطان يتولى كل شيء وإنما بعدل وحنان ، الخوف الوهمي من الاجنبي ، سوء الظن بالسلطة العليا والدولة ، الالتواء والازدواجية ، الاعتماد على الدولة ، تعدد الولاءات وبالتالي ضعف الاحساس الوطني الذي يهتم بالمشاكل والناس على اكثر ما يمكن من الصعد عمقاً واتساعاً ، الميل الى المحافظة والانكفاء على الداخل(١٧) . ويرى **حليم**

---

(١٤) Morroe Berger, *The Arab World Today* (New York: Doubleday, 1962), chap.5.

(١٥) Raphael Patai, *The Arab Mind* (New York: Scribner, 1973), pp. 26, 137, 157 and 163.

(١٦) John Laffin, *The Arab Mind Reconsidered: A Need for Understanding* (New York: Taphing, 1957).

(١٧) علي زيعور ، **التحليل النفسي للذات العربية : انماطها السلوكية والاسطورية** (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٨ )

**بركات** ان النظم السياسية في البلدان العربية تحكمها ثقافة تؤكد قيم القدرية لا قيم الخلق والسيطرة على المحيط ، النظرة السلفية المغلقة وليست النظرة المستقبلية المنفتحة ، التناول الفوري العاطفي وليس المنهجي العلمي لامور الحياة ، تفضيل المكاسب الآنية على المكاسب بعيدة المدى ، الاطلاق وليس النسبية كما يتجلى في عدم التمييز بين الاساليب والاهداف والانفصام بين الفكر والواقع وعدم التسامح ، تغليب التوجه العائلي على التوجه الوطني والاعتبارات الذاتية الخاصة على الاعتبارات العامة الموضوعية ، هيراركية العلاقات بين البشر ، تفضيل الخبرة والسن على الشباب والعلم . ويعتقد حليم بركات ان العائلة ، وليس الدين ، هي المصدر الاهم لمنظومة القيم هذه[١٨] .

ويلاحظ على الدراسات السابقة بوجه عام تعرض للقيم الثقافية العربية عموماً وليس لقيم الثقافة السياسية بالذات . كما انها تعمم على الوطن العربي ككل من واقع بيانات مأخوذة من قرى او من عينات حضرية . كذلك فهي تنطلق من تصور محدد لتربية الاطفال في الكشف عن سمات الشخصية متجاهلة الحقيقة التي مفادها ان المجتمعات عرضة للتغير المستمر الذي يصاحبه تغير في اساليب التنشئة وربما في خصائص الشخصية . أضف الى ذلك أنها ، خلا دراسة حليم بركات ، تكاد تتبنى نظرة استاتيكية للشخصية العربية . اذ بينما الصقت بالعرب كل ما هو سلبي من الخصال ، لم تشر من قريب او بعيد الى امكان تغييرها . لقد نسي اصحاب تلك الدراسات أن العقلية العربية التي وصفوها هي نتاج القهر الاجتماعي والسياسي وأن تحوير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لصالح الجماهير العربية العريضة خليق بتغيير نفسيتهم . ويحتاج التغيير المادي والمعنوي ، في تصور حليم بركات ، الى قيادات غير تقليدية تحوز مستوى عالياً من الرشد والوعي وترحب باشتراك الشعب معها في تقرير الامور وتعتمد على اهل الرأي والاختصاص[١٩] .

## ثالثاً : الثقافة السياسية في الوطن العربي : اهم الابعاد وكيفية الدراسة

بعد العرض النقدي لابرز مساهمات العلم الاجتماعي في مجال نفسية العرب ككل او نفسية شعوب عربية بعينها ، نأتي الى النقطة الاخيرة في هذه الدراسة التي تتعلق بتحديد اهم عناصر الثقافة السياسية التي تميز الوطن العربي في مجموعه من ناحية ، والتي تميز بين مختلف اقطاره من ناحية اخرى .

**العنصر الاول** ، يتعلق بالتوجه حيال السلطة السياسية . فما أكثر ما قيل عن سيادة مشاعر واتجاهات سلبية لدى العرب ازاء الحكومة . هذه المقولة بحاجة الى تنقية وتطوير وايضاح بغرض الاجابة عن التساؤلات الآتية : هل صحيح ان المواطنين في البلدان العربية يتخذون من الحكومة موقفاً قوامه الشك والعداوة والخوف؟ هل هذا المركب النفسي واحد لدى السنّة والشيعة ، او لدى الشرائح

---

(١٨) حليم بركات ، « النظام السياسي بين القيم الحضارية التقليدية والحديثة ،» في : **النظام السياسي الافضل للانماء في العالم العربي : لبنان والدول العربية** ( بيروت : مكتبة الفكر الجامعي ، ١٩٧٦)، ص ٨٤ ـ ٩٢ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

الاجتماعية المختلفة؟ ما هو تأثير ذلك التوجه السلبي على عملية التحديث الاجتماعي والسياسي؟ كيف يمكن تعديل نظرة الجماهير العربية الى الحكومة بحيث تحل الثقة محل الريبة والعداء ؟

يلي هذا ما يقال عن اتصاف العرب بالشك المتبادل والفردية وضعف الميل الى التعاون المنظم ، وهي صفات لا يخفى مغزاها السياسي . اذ يفترض انه في ظل ثقافة تنطوي على هذه الاتجاهات ، يصعب قيام مؤسسات سياسية قوية وفعالة . وهنا نتساءل : هل حقاً ان الضعف المؤسسي في الوطن العربي يمكن تفسيره في ضوء الخلفية الثقافية لشعوبه؟ والى اي مدى يمكن الاعتصام بالعوامل الثقافية في تفسير الاختلافات بين البلدان العربية في مستوى المؤسسية السياسية ؟ كذلك فإن لعنصر « التضامن » القائم على علاقة الدم اهمية خاصة لما يشاع عن العربي من ميله الى التوحد مع عائلته او قبيلته والحرص الشديد على ان تأتي مواقفه محققة لارادتها ، متسقة مع مواقفها . وهنا ينبغي معرفة : العوامل المؤثرة ايجاباً وسلباً في ظاهرة التضامن القرابي ، مدى اختلاف حدة هذه الظاهرة فيما بين البلدان العربية ، وفيما بين الريف والحضر والبادية ، ومن مسألة الى اخرى ومن حقيقة الى اخرى ، ودرجة تأثير الانتماء للجماعات القرابية على بنية السلطة السياسية وكفاية العملية الادارية والسلوك التصويتي .

هناك قضية ثقافية اخرى على قسط كبير من الاهمية ألا وهي قضية الاحتجاج والتمرد . لقد الصق كثرة من الكتاب ، خصوصاً اليهود ، صفة العنف بالعرب . بل ان الكاتب اليهودي جابرئيل باير راح ، ربما عن عمد ، يشكك ويتحدى المقولة التي مفادها ان الفلاح المصري يؤثر الخضوع والوداعة على التمرد والثورة[٢٠] . وهنا نتساءل : هل حقاً أن الانسان العربي عنيف بطبعه ؟ ما هي طبيعة ومسببات هذه السمة الثقافية بفرض وجودها ؟ ما هي انماط او صور مقاومة السلطة غير الشرعية في الوطن العربي ؟

كذلك قيل كلام ، قل او كثر ، عن ارتباط مشاعر الشك المتبادل والقدرية بغياب او محدودية المشاركة في البلدان العربية . الا انه لا توجد حتى الآن معالجة منظمة جيدة لاتجاهات العرب حيال المشاركة السياسية : شرعيتها ، مداها ، اشكالها ، ومدى ارتباطها بنزعة تشخيص السلطة . ويتصل بذلك اتجاهات المواطنين ازاء ما يعرف بعلاقة « الكفيل ـ المكفول » Patron-client relationship[٢١] . الى اي مدى يشيع هذا النموذج في ارجاء الوطن العربي؟ وما اسباب ذلك؟ الى اي حد تساند قيم الثقافة العربية نظام الكفيل ـ المكفول ؟ ما هي طبيعة منافع وأعباء طرفي العلاقة؟ وهل تختلف باختلاف الامكنة والازمنة والقطاعات الاجتماعية؟

وفضلاً عما تقدم ، ما برح المفكرون والكتاب العرب منقسمين ازاء مدى سيادة مفهوم العروبة في الثقافة السياسية للبلدان العربية . فمنهم من يقر بتوافر الشعور بالانتماء العربي لدى العرب . ومنهم من يثير الغبار والشكوك حول وجوده اصلاً . وعلى الرغم من تعاطفنا مع الفريق الاول ، الا ان رأيه

---

(٢٠) Gabriel Baer, *Studies in the Social History of Modern Egypt* (Chicago, Ill.: The University of Chicago Press, 1969), pp. 94-104.

(٢١) للوقوف على طبيعة هذه العلاقات والعوامل المؤثرة فيها انظر :

René Lamarchand and Keith Legg, «Political Clientelism and Political Development: A Preliminary Analysis,» *Comparative Politics*, no. 4, (January 1972), and John Duncan Powell, «Peasant Society and Clientelist Politics,» *American Political Science Review*, vol. 64 (June 1970).

ورأي الفريق الثاني يحتملان الصواب والخطأ دائماً مالم تساندهما نتائج بحوث تجريبية تهدف الى الكشف عن مدى رسوخ الانتماء العربي في العقل الجمعي للعرب وما اذا كان اقوى او اضعف من الانتماء الوطني ( الاقليمي )، وارتباط ذلك بعمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية هناك[٢٢] .

تلك اهم العناصر التي يجب التحقق من وجودها ودرجة شيوعها في الثقافة السياسية العربية . والسؤال المنطقي بعد هذا هو : كيف السبيل الى ذلك[٢٣] ؟ ترى دراسات الشخصية امكانية التعرف على الخصائص الثقافية لأي شعب من خلال التحليل الاسقاطي لأساليب تنشئة الاطفال داخل الاسرة . الا ان هذا المنهج ، رغم اهميته ، قد ينتهي بالباحث الى نتائج مضللة احياناً . وبيان ذلك ان خبرات التنشئة التي يكتسبها الطفل داخل اسرته قد تتغير كلياً او جزئياً مع تعرضه لخبرات تنشئة جديدة داخل المدرسة والجامعة ومقر العمل ... الخ . وهذا ما يعرف بظاهرة الانقطاع او عدم الاستمرارية في عملية التنشئة . وفي مثل هذه الحالة ، لا يسوغ الركون الى نمط التنشئة الاسرية في تحديد السمات الثقافية خصوصاً اذا كان المجتمع يمر بعملية تحديث وتغير اجتماعيين كما هو الحال في جمهرة البلدان العربية.

ولأسلوب المسح اهمية خاصة في هذا المقام . اذ توحي دراسة الموند وفربا السابق الاشارة اليها بأن المسح خير الاساليب في الكشف عن خصائص الثقافة السياسية . ورغم وعينا بالمصاعب الفنية والعلمية لاستخدامه في مجتمعاتنا العربية ، الا انه يبقى اسلوباً لا غنى عنه في اي دراسة جادة حول القيم والاتجاهات السياسية . ويمكن ايضاً دراسة الثقافة السياسية في البلدان العربية باستخدام اسلوب تحليل مضمون المقررات الدراسية ، قصص الاطفال ، وخطب وتصريحات كبار المسؤولين والمادة الاعلامية بأشكالها المختلفة . كذلك فإن دراسة الأدب الشعبي في الوطن العربي ( الامثال العامية ، الحكايات ، القصص والاغاني الشعبية ، المواويل ، الازجال ، الالغاز والاحاجي ) خليقة بأن تسهم في توضيح الرؤية حول كل او بعض ابعاد الثقافة السياسية العربية .

## خاتمـــة

لعل العرض السابق قد اوضح اهمية اخذ القيم والتصورات والاتجاهات السياسية للجماهير العربية في الحسبان عند تحليل ظواهر السياسة وانظمة الحكم في الوطن العربي . فقضايا التنمية والاستقرار السياسي والمشاركة السياسية والتجنيد السياسي والكفاءة الادارية وانتقال السلطة وبناء المؤسسات والتكامل السياسي والتعاون العربي يصعب تناولها بصورة علمية جادة بعيداً عن الثقافة السياسية السائدة في الوطن العربي . ولا يعني هذا ايماناً منا بمبدأ الحتمية الثقافية الذي يفسر الاوضاع الاجتماعية والسياسية في المجتمع في ضوء خصائصه الثقافية حيث لا يستقيم هذا المبدأ مع

---

(٢٢) المحاولة الرائدة بهذا الخصوص حتى الآن : سعد الدين ابراهيم ، **اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة : دراسة ميدانية** ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠ ) وانظر نقد د. حليم بركات لهذا الكتاب في: **المستقبل العربي**: السنة ٣ ، العدد ٢٣ ( كانون الثاني / يناير ١٩٨١ ) ، ص ١٣٥ ـ ١٤٢ .

(٢٣) بخصوص منهجية دراسة الثقافة السياسية انظر عموماً :
Kavanagh, *Political Culture*, pp. 49-52, and G. Almond and B. Powell, *Comparative Politics: A Developmental Approach* (Boston, Mass.: Little Brown, 1966), p. 51.

النظرة الشمولية في التحليل التي ترفض التفسير الاحادي للظاهرة . كل ما في الامر اننا نرى لمتغير الثقافة السياسية اهمية تبرر اخذه بعين الاعتبار لدى دراسة الواقع السياسي في الوطن العربي .

كما اتضح من الدراسة كذلك ان الثقافة السياسية في الوطن العربي يمكن تناولها على مستويين : المستوى العام الذي يتعلق بذلك القاسم الثقافي المشترك بين العرب ككل ، ثم المستوى الخاص الذي يتعلق بالتفرد الثقافي لكل شعب عربي على حدة . وليس ثمة تناقض بين القول بوجود ثقافة سياسية عامة للعرب وبين القول بوجود ثقافات سياسية فرعية للجماهير العربية مثلما لا يوجد تناقض بين القول بثقافة عامة لبلد ما وبين القول بثقافات فرعية داخله. ولا شك ان دراسة الثقافة السياسية ـ على الاقل في حدود العناصر الواردة بالجزء الثالث من الدراسة ـ كفيلة باظهار مدى تماثل او تمايز قيم الثقافة السياسية في الوطن العربي . وهذا بدوره خليق بأن يسهم في حسم الخلاف الدائر حول مسألة **الانتماء العربي او الانتماء الاقليمي او الاثنين معاً** □


صدر حديثاً
عن

مركز دراسات الوحدة العربية

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية
الامانة العامة

**مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي**

**الجذور والمسببات . . . والابعاد والسياسات**